

ملخص

يعدّ المبحث الطوبونيمي (المواقعي) من بين المسارات الكثيرة لمعرفة التاريخ المشترك لمجموعة بشرية معيّنة، وبخاصة في الأزمان القديمة التي تفتقر إلى الوثيقة التاريخية المكتوبة (كما هو الحال في تاريخ دول الطوائف). وإنّ وُجِدَت هذه الوثائق المكتوبة فغالبًا ما نجدتها تهتم بالأنظمة الحاكمة وسياساتها ومحيطها، مُغَيِّبَةً بشكل أو بآخر التاريخ الاجتماعي وتاريخ الجماعات. فالتاريخ السائد في المصادر التقليدية كان دومًا تاريخًا رسميًا يهتم بأنشطة الأنظمة السياسية القائمة ولا يهتم بتاريخ المجتمع بكل مكوناته، ولإعادة بناء هذا التاريخ العميق، أصبح من الضروري البحث عن الوثائق في مظانٍ أخرى. وتبقى اللغة في هذا الصدد من بين إحدى أفضل الوثائق التي يمكن أن تُمدّد الباحث بمعطيات وتدقيقات مفيدة لا توجد في المصادر التقليدية المألوفة، وهو ما يسعى هذا العرض إلى تحقيقه.

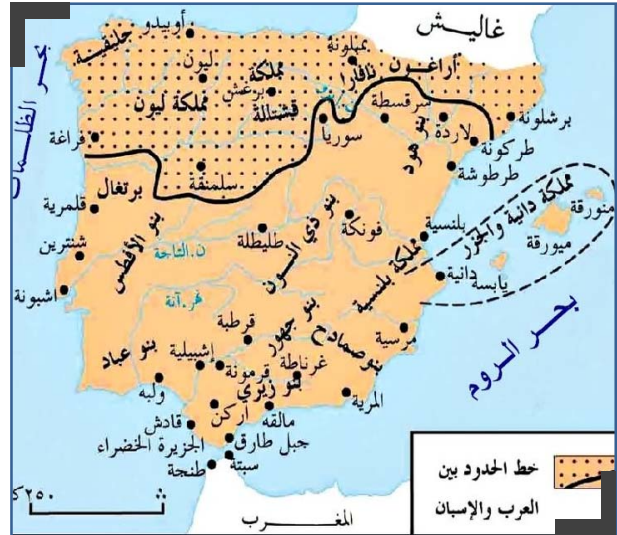
مقدمة

تعدّ الطوبونيميا أو المواقعية (Toponymie) ذاكرة جماعية في صورة ناطقة، ومن ثمّ يصبح مجال بحثها نافذة أساسية على المجتمع بمختلف تجلياته: اللغوية والسياسية والحضارية، وهي علاوة على ذلك أداة عمل لازمة لإدارة الخدمات والمصالح والفضاءات المختلفة إدارة ناجعة، فأسماء الأماكن بوصفها إشارات تموضع، تسمح بالاهتمام السريع ضمن الفضاء الجغرافي، من ذلك نُظُم جمع البيانات التي تعمل وفقًا لـ (نظام التوضع العالمي) وبالتكامل مع جميع المعلومات التي يمدّنا بها (النظام المعلومات الجغرافية GIS)، والتي تعدّ وسيلة لمعرفة حقول النشاط البشري على سطحها وتعدّدها ووسيلة للتحليل الشامل للمهموم البيئي ومن ثمّ وسيلة لانفراجها. لذا، أصبح جمع المعلومات الدقيقة والآنية أحد التحديات التي تواجه مسؤولي البلاد على اختلاف مستوياتهم حيث يتعيّن عليهم اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب؛ ولا شك في أن هذا لن يتمّ إلا بتوفر المعلومات الوصفية والمعلومات المواقعية الدقيقة حول العناصر التي تنتشر عبر الأمكنة المتسعة.

فما هي الطوبونيميا إذن؟

إنّها العلم الذي يُعنى بدراسة أسماء الأماكن وتحليلها، بالاعتماد على مجموعة من العلوم المساعدة كالتاريخ والجغرافيا والأنثروبولوجية وغيرها.^(١) وإذا أردنا البحث في الأصل اللغوي للطوبونيميا (Toponymie) (و منه الطوبونيم toponyme أو اسم مكان) وجدناه اسمًا إغريقيًا يتكوّن من لفظتين هما TOPOS و ONOMA وتعني الأولى المكان (أو الأرض) والثانية الاسم، ويعيّن هذا المركّب إذن إسمَ المكان أو إسمَ الأرض. وهناك اجتهادات كثيرة تحاول نحت اسمٍ لهذا العلم من اللغة العربية فنجد المواقعية والأماكينية وغيرهما، وكلّها تفيد المعنى نفسه في اللغة اللاتينية. فالطوبونيميا عند R. Delort "دراسة أسماء الأماكن بمعنى أسماء (أي دوال) وضعها الإنسان ليدلّ بها على حقائق جغرافية، (أي مدلولات). كما أنّها في نظر Charles. Rostaing: "البحث عن معاني أصول أسماء الأماكن ودراسة تحولاتها".^(٢)

على أنّنا حين نعلم إلى فحص مواد الطوبونيميا، نتبيّن أن هذا الفرع من علم أسماء العَلَم (l'onomastique) يتضمّن جوهريًا عددا من الأنواع: "الأورونيميا" l'oronymie (أو دراسة أسماء الجبال) و"الهيدرونيميا" l'hydronymie (أو دراسة أسماء مجاري المياه)،



الاندلس في عصر الطوائف "عرض طوبونيمي للأعلام والمدن"

أ. د. عبد القادر سلامي

قسم اللغة العربية واللغات

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة تلمسان - الجمهورية الجزائرية



الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

عبد القادر سلامي، الاندلس في عصر الطوائف: عرض طوبونيمي للأعلام والمدن- دورية كان التاريخية- العدد الخامس عشر: مارس ٢٠١٢. ص ١١١ - ١١٥.

www.kanhistorique.org

ISSN: 2090 - 0449

خمس أعوام من الدراسات التاريخية ٢٠٠٨ - ٢٠١٢

على جميع هذه المطالب الجنوبية، فازدادت قلوب الناس على "شَنْجُول" حقدًا ولاسيما بنو مروان.^(١١)

ولم يكن الأمويون ليرضوا بهذا الذي حدث، وقد بلغ السيل الزبى وفارت النفوس وتميّزت غيظًا، ولم تكن تنقصها سوى الفرصة المواتية للانقضاض على العامريين المتطاولين حتى شاء سوء طالع "شَنْجُول" أن يخرج إلى الغزو في شتات سنة ٣٩٩هـ، فتار الناقمون بقيادة محمد بن هشام عبد الجبار الذي تلقّب بـ "المهدي" بقرطبة وأشاع أنّ هشامًا المؤيد قد مات، فأوقدها ثورة عارمة لا تبقى ولا تذر؛ فإذا قرطبة كأنّها قبس من جمر عصفت به الريح.^(١٢) ولم ينقض القرن الرابع إلّا وعروس الأندلس الزاهية بالأمس قد عبثت بها يد الخراب، فاستحالت أنقاضًا وتحول أهلها ضواري عطشى يشرب بعضهم دماء بعض.

كلّ ذلك كان يحدث حول قرطبة بينما فتیان العامريين يهربون منها، ويحتلّ كلّ منهم بلدًا ويعلن استقلاله فيه، فقد استولى "مبارك" و"مظفر" العامريان على مدينتي "بَلَنْسِيَّة" و"شاطبة"، واستولى خِيران العامري على مدينة "المريّة"، وكون زهير الفتى العامر بدولة امتدّت إلى "شاطبة" و"بيّاسة" وما وراءها من أعمال "طليطلة"، واستولى مجاهد العامري على "دانيّة" وجزيرتي شرقي الأندلس (ميورقة وبيّاسة).^(١٣)

وظهر جليًا، بعد إخفاق المحاولات المتكررة لإرجاع الخلافة الأموية، أنّ الفتنة البربرية قد قضت على وحدة الأندلس كما قضت على عمران قرطبة، وانزوى في كلّ منطقة رجل قوي أعلن استقلاله بها، وهذا ما يسي في تاريخ الأندلس بعصر الطوائف،^(١٤) الذي شهد كذلك تعدّد المراكز الثقافية على أصول الانقسام السياسي، إذ أصبحت كلّ عاصمة دولة من دول الطوائف مركزًا من مراكز الأدب والعلم. فلم تعد قرطبة كبرى المراكز العلمية بل أصبحت تنافسها كثير من المدن. وقد كان الأمير هو الراعي الأوّل للحركة الثقافية، وكان لون هذه الحركة يسير حسب ميل هذا الأمير أو ذاك،^(١٥) فكان الميل الأدبي أغلب على بلاط إشبيلية، وكان الميل العلمي أغلب على بلاط ذي النون بطليطلة وبني هود بسرقرسطة، وكانت المباحاة بجمع أكبر عدد من العلماء المشهورين في مختلف العلوم، من فقه وحديث ولغة وضروب النشاط الأخرى، ميزة العامريين في دانية.

ثانيًا: العلاج وفق نسلسلها التاريخي

المنصور بن أبي عامر:

هو أمير الأندلس من سنة ٣٢٦هـ إلى سنة ٣٩٢هـ في دولة المؤيد هشام بن الحكم وأحد الشجعان الدّهاء. أصله من الجزيرة الخضراء.^(١٦)

عبد الملك المظفر:

هو ثاني أمراء الأندلس من الأسرة العامريين ما بين سنوات ٣٩٢ هـ و٣٩٩هـ.^(١٧)

عيسى بن سعيد اليحصبي:

المعروف بابن القطاع (...- ٣٩٧هـ). كان قيّم دولة ابن أبي عامر والمتصرف في شؤونها أصله من قوم يُعرفون ببني الجزيري.^(١٨)

عبد الرحمن بن المنصور الملقّب بـ "شَنْجُول":

هو حاجب الخليفة هشام بن الحكم بقرطبة وآخر الأمراء العامريين توفي سنة ٣٩٩هـ.^(١٩)

محمد بن هشام عبد الجبار:

"الميكروطوبونيميا" la microtoponymie (أو دراسة المواقع الريفية والحضرية)، "الأودونيميا" l'odonymie (أو دراسة أسماء الشوارع)، وغيرها. ولكلّ من هذه الفروع صلته الوثيقة بالفضاء المحيط إذ أن الإنسان اهتم، منذ وُجِه الأول، بتسمية جواره بما يميّزه من الأشكال والأحداث.^(٢٠)

هذا، وتعدّ الأسماء الواقعية إحدى مقومات الحياة اليومية للشعوب، ومن الوجهة التراثية يجدر القول بأنّها لا تقل أهمية عن مدلولاتها، سواء أكانت عناصر بيئية أو آثار بشرية مرئية أو شفوية تجريدية. وإلى جانب وظيفتها التوطينية والتعريفية، تلعب أسماء الأعلام المتصلة بمواقع بأعيانها دورًا نوعيًا حاسمًا للتعبير عن جملة من حقائق الموارد الثقافية السائدة. كما تمكّن من التمييز ضمنها بين ما هو محلي ولصيق بصيرورة المجتمعات الصغرى، وبين ما هو وطني وذائع الصيت.

أولًا: الحياة السياسية في القرن الخامس الهجري بالأندلس

شهد القرن الخامس الهجري بوفاة الحاجب المنصور بن أبي عامر بداية سياسة مختلة وشرًا مستفحلًا، وبذلك كانت نهاية المجد السياسي والوحدة السياسية في ظلّ الأمويين والعامريين، الذي بلغت فيه قرطبة من العمران أقصى ما وصلت إليه، وكيف لا وقد كانت قبله الأنظار من الناحيتين السياسية والحضرية.^(٢١) فعلى الرغم ممّا يقال من استمرار عبد الملك المظفر على التّج الذي اختطّه أبوه المنصور، فإنّ ذلك لم يحدّ في الواقع الحجز على الخليفة وتقديم العنصر الأجنبي من بربر وصقالبة على العنصر العربي.^(٢٢)

أمّا تسيير الدولة، فقد مسّه الخلل، لأنّ عبد الملك كان منهمكًا في لهُو وشرا به وإشباع رغباته تاركًا تدير الأمور لعيسى بن سعيد اليحصبي ولأكابر الفتیان والعامريين، فأربك هؤلاء الوضع بسعابات بعضهم ضد بعض.^(٢٣) فقد قام عيسى بن سعيد اليحصبي بتدبير مؤامرة على الملك المظفر بالاتفاق مع جماعة من بطانته، فاجتمع الرأي على الغدر بالعامريين والانقلاب إلى المروانيين وصرف الخلافة إلى هشام بن عبد الجبار، غير أنّ خيوط المؤامرة اكتشفت قبل تنفيذها، فضرب المظفر عنق عيسى.

ولمّا تولى عبد الرحمن بن المنصور الملقّب بـ "شَنْجُول" الحجابة بعد وفاة أخيه سنة ٣٩٩هـ، زاد هذه السياسة اختلالًا. فقد أحفظ النفوس عليه بسوء سيرته وانحراف أخلاقه؛ إذ كان مستهترًا بالقيم، سادرًا في غيّه، ماجنًا لا يكاد يفوق من سكره، مجاهرًا بالفتك؛ هذا إن لم يكن انحداره من أمّ إفرنجية قد ضاعف من بغض الناس له.^(٢٤)

ولم يكتف "شَنْجُول" بالحجز على الخليفة المؤيد بن الحكم المستنصر، إذ لم يكن له حول ولا قوة، وإرغامه على كتابة عهد بالتنازل له عن الخلافة،^(٢٥) وإنّما ذهب إلى أبعد من ذلك، فخلع على نفسه ألقابًا لم يكن أهلاً لها، فتسمّى بـ "المأمون"، وأضاف إلى اسمه لقب "ناصر الدولة" وهذا بعد عشرة أيام قضاها في الحجابة.^(٢٦) وأتبع ذلك كلّه بأشدّ الخطوات خطورة وهي إرغامه الخليفة على صرف ولاية العهد إليه ليتّم له بذلك سحق الأسرة الأموية ونقل الخلافة جملة إلى الأسرة العامرية.^(٢٧) فقد وافقه الخليفة الضعيف

والشّمار جامعة لخيرات البر والبحر، ولها أقاليم كثيرة، وهي الجزء الرابع من قسمة قسطنطين. تغلب عليها الرّوم قديمًا ثمّ أحرّقوها عند خروجهم منها سنة ٤٩٥هـ؛ ثمّ ملكوها صلّحًا سنة ٦٣٦هـ فاستولى عليها ملك أرغون جاقه، فأكثر أدباؤها بكاءها والتأسّف عليها نظرًا ونثرًا.^(٢٠)

بيّاسة:

هي مدينة عامرة بالأندلس، بينها وبين جيّان عشرون ميلًا، وهي على كدية من تراب مطلّة على النّهر الكبير المنحدر إلى قرطبة، وهي مدينة عامرة، ذات أسوار وأسواق وحولها زراعات، ومستغلات الرّعفران بها كبيرة. كان صاحبها إذ ذاك عبد الله بن محمد بن عمر بن عبد المؤمن الذي أدخل الرّوم بياسة والمسلمون معهم في سائر المدينة. وكان أنّ تغرّر له عبد الله بن العادل بن المنصور صاحب إشبيلية فخافه، فخرج إلى بيّاسة فدخلها وكلّم أهلها لمساعدته وامتناعه بهم إلى أن يأخذ لنفسه الأمان، فساعدوه على مراده ومنعوه ممن رامه، فردّ وروم طليطلة -الذين كانوا أولياء لصاحب بيّاسة وأنصارًا له- زحف جيش عبد الله بن العادل الذي قدّم عليه عثمان بن أبي حفص. وبقي صاحب بيّاسة ببلده لا يرومه أحد إلى أن تملك قرطبة (قاعدة الأندلس وأمّ مدائنها ومستقر خلافة الأمويين بها، سقطت في أيدي النصارى سنة ٦٣٣هـ)، ومالقة (مدينة أندلسية على شاطئ البحر، عليها سور صخر والبحر في قيعها. ذكرها الأوّل في كتبهم فقالوا: مدينة مالقة، لا بأس عليها ولا فرق، أمنة من جوع وسبيّ ودم، مكتوب ذلك في العلم إلي يكتب. نشأت فيها الفتنة في آخر أيّام المثلّمين وقد زال سلطانهم سنة ٥٣٩هـ وصدر من دولة الموحدّين بقيام أبي الحكم الحسين بن الحسين قاضي مالقة فيها، فمزقوا في البلاد كلّ ممزّق) وغيرهما، وكاد يستولي على الأمر لو ساعده القدر. أوقع بأهل إشبيلية بفحص القصر سنة ٦٢٢هـ وقتل منهم نحو ألفي رجل وانصرف منها مكسورًا مفلولًا ثار به أهل قرطبة، إذ وهزموا وهو مقيم بها أنّه يريد إدخال النصارى مدينتهم، فخرج منها فارّ إلى الحصن المدوّر، فأقام هناك وبقيت بيّاسة بيد الرّوم فلم يقدر الله لهم أن يسترجعوها منهم رغم استنجادهم بصاحب جان عمر بن عيسى بن أبي حفص بن يحيى إلى سير إليها حشودًا استعصت عليها القصبه لحصانها، فلم يكن لأهل بيّاسة من المسلمين بدّ من فراق بلدهم والخروج على نعمتهم، وبقي الروم في جميع المدينة وملكوها عن آخرها سنة ٦٢٣هـ. ومن أهل بيّاسة الأديب التاريخي أبو الحجّاج يوسف بن إبراهيم البيّاسي، مصنّف كتاب "الإعلام بحروب الإسلام".^(٢١)

دانية:

بفتح الدال المهملة، وبعد الألف نون مكسورة، ثم ياء مثناة من تحتها مفتوحة وبعدها هاء ساكنة. وهي مدينة بشرق الأندلس على البحر عامرة، لها ربض عامر وعليها سور حصين بني من ناحية الشرق داخل البحر بهندسة وحكمة، ولها قصبة منيعة جدًّا، وهي على عمارة متّصلة وشجر تين كثيرة وكُروم، والسفن واردة عليها صادرة عنها، ومنها كان يخرج الأسطول إلى الغزو، وبها ينشأ أكثره لأنّها دار إنشائه، وفي الجنوب منها جبل عظيم مستدير تظهر من أعلاه جبال يابسة في البحر. ومن دانية أبو عمرو الداني المقرئ المعروف بابن الصّبر في المتوفى بها سنة ٤٤٤هـ.^(٢٢)

دولة بني هود:

هو أبو الوليد ولي الخلافة في سنة ٣٩٩هـ وبقي بها سبعة عشر شهرًا، حتى قتله العبيد مع واضح الصّقلي وتولى بعده المستعين بن الحكم.^(٢٣)

مبارك ومظفر العامريان:

قيل: إنّهما "كانا عبديّ مهنة، وأميريّ فتنة، قلّ النّاس فكثروا، وخلاّ لهم الجوّ فباضوا وأصْفروا وغازوا الجماعة بقرطبة مدّة أيامهم وداسوا أحساب الأمراء بأقدامهم، مستمتعين بدنياههم، غافلين عن عبادة الله فيمن جرى مجراهم".^(٢٤)

خيران العامري:

هو مولى المنصور بن أبي عامر وأمير داهية. له حروب ووقائع أيام المؤيد والمُرْتضى الأمويين بالأندلس، ثم مع ملوك الطوائف توفي سنة ٤١٩هـ.^(٢٥)

زهير الفتى العامري:

هو فتى المنصور بن أبي عامر وأمير عصاميّ صقلي الأصل، من الدّهة في عهد ملوك الطوائف بالأندلس، كان من رجال خيران الصّقلي صاحب المرتبة وولّيا بعد وفاة خيران سنة ٤١٩هـ حتى وفاته سنة ٤٢٩هـ.^(٢٦)

مجاهد العامري:

هو أبو الجيش مجاهد بن عبد الله بن يوسف العامري الموقّ، رومي الأصل، ولد بقرطبة وربّاه المنصور بن أبي عامر مع موليه، فنسبه إليه. وهو من ملوك الطوائف بالأندلس بعد انقراض الدولة الأموية أسّس الدولة العامرية في دانية وميورقة وأطرافهما، ودام حكمه عليها من سنة ٤٠٣هـ إلى سنة ٤٣٦هـ وكان يتحلّى بشجاعة وإقدام نادرين وعلى جانب من الثقافة الأدبية والعلوم العربية. كما ضمّ بلاطه المشاهير من العلماء أمثال أبي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ) اللغوي وابن سيده (ت ٤٥٨هـ) وانتشر العلم في حضرته حتى فشا في جواريه وغلمانها.

ثالثًا: المدن (الدويلات) ذات الصلة

إشبيلية:

مدينة بالأندلس قديمة جليلة بينها وبين قرطبة مسيرة ثمانية أيّام ومن الأميال ثمانون يذكر أهل العلم أنّ أصل تسميتها إشبالي ومعناه "المدينة المنبسطة". وإشبيلية مدينة كبيرة عامرة لها أسوار حصينة وسوقها عامرة وخلقتها كبير وأهلها مياسير، وجلّ تجارتهم الزيت يتجهزون به إلى المشرق والمغرب برًّا وبحرًا. لها سور من بناء الإمام عبد الرحمن بن الحكم، بناه بعد غلبة المجوس عليها بالحجر فأحكم بناءه، وجامعها من بنائه كذلك؛ ويطلّ على إشبيلية جبل الشرف، وهو شريف البقعة كريم التربة دائم الخضرة. سقطت المدينة في يد عدوّها سنة ٦٤٦هـ.^(٢٧)

بلنسية:

مدينة في شرق الأندلس بينها وبين قرطبة على طريق بجائنة ستة عشر يومًا وعلى الجادة ثلاثة عشر يومًا، وهي مدينة سهلية وقاعدة من قواعد الأندلس في مستو من الأرض، عامرة القطر كثيرة التجارات وبها أسواق وخطّ وإقلاع وبينها وبين البحر ثلاثة أميال، وهي على نهر جارٍ ينتفع به ويسقي المزارع وعليه بستين وجنات وعمارات متّصلة وسُفن، وسورها مبني بالحجر والطواي، ولها أربعة أبواب، ولأهلها حسن زّيّ وكرم طباع والغالب عليهم طيب النفوس والميل إلى الرّاحات، وهي من أكثر الأمور راحية الأسعار كثيرة الفواكه

مؤسس هذه الدولة المنذر بن يحيى التجيبي (٤٠٨هـ - ٤١٤هـ).^(٢٨)

دولة ذي التّون:

مؤسس هذه الدولة إسماعيل بن ذي التّون الظّافر (٤٢٧هـ - ٤٣٥هـ).^(٢٩)

سرقسطة:

مدينة بشرق الأندلس، أكثر مدن الأندلس ثمرة لكثرة فواكهها حتّى لا يقوم ثمنها بمؤونة نقلها لرخصها فيتخذونها سرجيناً يدمنون به أرضهم. ومما خصّت به كذلك معدن الملح الدّراني الذي لا يوجد مثله في مكان ولا يعدل به وتعرف بالبيضاء؛ لأن أسوارها القديمة من حجر الرّخام الأبيض. وهي قاعدة كبيرة القطر أهلة ممتدة عامرة؛ وهي على ضفّة نهر كبير يأتي بعضه من بلاد الرّوم من جبال قلعة أيوب ومن غيرها فتتجمّع هذه الأنهار كلّها فوق مدينة تطيلة، ثمّ ينصبّ إلى مدينة سرقسطة لكثرة حصّتها وجبارها، ومن خواصّها أنها لا تدخلها حيّة البتة وإن جُلّبت إليها ماتت. واسمها مشتق من اسم قبصر وهو الذي بناها، وتفسير اسمها باللسان اللّتين "جاجر أغشت" (Gaesarea Augusta)، وذكر أنها بنيت على مثال الصليب، وجعل لها أربعة أبواب. وكان الذي بنى المسجد الجامع بها ووضع محرابه حنش بن عبد الله الصنعاني وهو من جلدّة التابعين ودفن بمقبرة القبلة.. من أعلام سرقسطة قاسم بن ثابت صاحب "الدلائل" (ت ٣٠٢هـ) بلغ فيه الغاية في الإتقان ومات قبل أن يكمله فأكمّله ثابت بعده. أخذ النصارى سرقسطة من أيدي المسلمين سنة ٥٠٢هـ بعد أن حاصروها أشهرًا.^(٣٠)

شاطبة:

مدينة أندلسية جليّة متقنة حصينة لها قصبتان ممتعتان، وهي كريمة الثّمرة عظيمة الفائدة طيبة الهواء، وهي قريبة من جزيرة شقّر، وكان يعمل بها كاغد لا نظير له بمعمور الأرض يعمّ المشرق والمغرب. وهي حاضرة أهلة بها جامع ومساجد وأسواق وألف فندق إلا ثلاثين فندقًا، وقد أحاط بها الوادي. وفيها بنيان قديم من عمل الأوّل يقولون له الصّنم.^(٣١)

طليطلة:

مدينة عظيمة القطر كثيرة البشر على ضفّة النّهر الكبير، وهي دار مملكة الرّوم حين دخلها طارق بن زياد فوجد فيها ذخائر كادت تفوت الوصف منها: مائدة سليمان بن داود عليهما السلام، وتيجان ذهب، وحجارة ثمينة، وسيوف مجوّهة، وأواني الفضة والذهب وهي مركز لجميع بلاد الأندلس؛ لأنّ منها إلى قرطبة تسع مراحل، ومنها إلى بلنسية تسع مراحل أيضًا، ومنها إلى المرية في البحر الشامي تسع مراحل أيضًا. بينها وبين البرج المعروف بوادي الحجارة خمس وستون ميلاً. وكان أخذ النصارى لطليطلة سنة ٤٧٨هـ.^(٣٢)

المرية:

هي مدينة أندلسية محدثة أمر ببنائها الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد سنة ٣٤٤هـ، وهي من أشهر الرّواسي الأندلسية وأعمرها وعليها سور حصين بناه أمير المؤمنين عبد الرحمن، وعلى ربضها المعروف بالمصلّى سور بناه خيران العامري، وكان قد أوصل إلى هذا الربض ماء العيّن التي هناك، وأجراها في سقاية، ثمّ أوصله محمد بن صمادح إلى سقاية عند جامعها داخل المدينة، واستطرد منه جدولاً يصبّ أسفل القصبّة ويرفع بالدواليب إلى أعلاه، ووادي

بجانة يعمّ بالسقي بساتين المرية، والبحر بقبلها وقصبتها بجوفها، وهو حصن منيع لا يُرام، مديد من المشرق إلى المغرب. كانت المرية في أيّام الملتّمين مدينة الإسلام، وبها من كلّ الصناعات كلّ غريبة، وكان بها من طرز الحرير ثمانمائة طراز، وتعمل بها الخلل والدّيباج والسقلاطون والأصهباني والجرجاني والسّثور المكلّلة والثّياب المعينة والعتابي والمعاجر وصنوف أنواع الحرير. كما كانت تصنع بها فيما تقدّم صنوف آلات النّحاس والحديد ما لا يحد، وكان بها من فواكه واديتها الكثير الرخيص، تقصدها مراكب التّجار من الإسكندرية والشّام، ولم يكن بالأندلس أكثر من أهلها مالاً. ملكها الرّوم فغيّروا محاسنها وسبوا أهلها وخربوا ديارها.^(٣٣)

ميورقة:

هي جزيرة في البحر الرقائي، تسامتها من القبلة بجاية من برّ العدو، بينهما ثلاثة مجاري، ومن الجوّف برشلونة من بلاد أرغون، وبينهما مجرى واحد، ومن الشرق إحدى جزيرتها مرنقة، وبينهما مجرى في لبحر طوله أربعون ميلاً، وشرقي ميورقة هذه جزيرة سردانية، وغربها جزيرة يابسة، وغربي يابسة مدينة دانية من برّ الأندلس. وميورقة أمّ هتّين الجزيرتين وهما بنتاها، وإليها مع الأيّام خراجها. وطول ميورقة من الغرب إلى الشرق سبعون ميلاً، وعرضها من القبلة إلى الجوف خمسون ميلاً. فتحها المسلمون سنة ٢٩٠هـ إلى أن تغلّب عليها العدو البرشلوني وخربها سنة ٥٠٨هـ ثمّ خرج منها فاختلف عليها ولآة ابن تاشفين، ثمّ ولها أوذل ولآة بني غانية: محمد بن علي بن غانية المسوّي إلى أن كان آخرهم عبد الله بن إسحاق. وتمادت ميورقة على امتناعها إلى أن توفّي المنصور سنة ٥٩٥هـ وولي ابنه الملك النّاصر، ولم تزل ولاته تختلف عليها إلى أن كانت المصيبة بسقوطها نهائياً على يد الطّاغية البرشلوني سنة ٦٢٧هـ.^(٣٤)

خاتمة

لقد بات من المؤكد أن الطوبونيميا ليست فقط علماً يهتم بدراسة وتحليل الطوبونيمات، أو أسماء الأماكن وعلاقتها بمستخدميها، واستخراج مضامينها ودلالاتها المختلفة ورموزها المشحونة بشتى الدلالات والمعاني، بل هي كغيرها من العلوم لا تخلو من بعض الاستئناس التاريخي والدفع الإيديولوجي أو التأويل الذي يتوسّل بالمرامي الخاصة بالمنظور السياسي البعيد المدى من قبيل الوقوف على موروثنا التاريخي السليب في أبعاده الإيجابية والسلبية.

الهوامش:

- (١٨) أبو الحسن علي بن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص ١٠٢-١٠٣ وأبو العباس بن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ٢٠٨/١، وخير الدين الزركلي: الأعلام، ٢٨٦/٥.
- (١٩) أبو العباس بن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ٤/٣ وأبو سعيد علي بن موسى المغربي: المغرب في حلى المغرب، ٢٠٨/١.
- (٢٠) أبو العباس بن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ٥٠/٣، وخير الدين الزركلي: الأعلام، ٣٠٦/٧.
- (٢١) أبو العباس بن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ١٦٦/٣.
- (٢٢) المرجع نفسه، ١٦٦/٣، وخير الدين الزركلي: الأعلام، ٣٧٢/٢.
- (٢٣) أبو العباس بن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ١٦٦-١٦٩، وخير الدين الزركلي: الأعلام، ١١٦/٦.
- (٢٤) محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط ٢: مؤسسة ناصر للثقافة، ١٩٨٠، ص ٥٨ - ٦٠.
- (٢٥) المرجع السابق، ص ٩٧، وياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، دار صادر للطباعة والنشر، ١٩٥٧، ٤٩/١.
- (٢٦) محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ١٢١-١٢٢، ١٢٢، ٤٥٦-٤٥٩، ٥١٧-٥١٨.
- (٢٧) أبو العباس محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ١٩٣٩، ١٨/٣، ومحمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ٢٣١-٢٣٢.
- (٢٨) محمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص ٢٤٥.
- (٢٩) المرجع نفسه، ص ٩٣.
- (٣٠) محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ٣١٧.
- (٣١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣/٣٠٩، ومحمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ٣٣٧.
- (٣٢) محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ٣٩٣-٣٩٥.
- (٣٣) ياقوت لحموي، معجم البلدان، ١١٩/٥، ومحمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ٥٣٧-٥٣٨.
- (٣٤) محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ٥٦٧-٥٦٨.

- (1) Le Dictionnaire du Français avec phonétique et étymologie. (édition) Algérienne ENAG —Hachette- 1992, P.1643.
- (٢) سيدي محمد الغوثي بن سنوسي: "المواقعية والعلوم الأخرى"، ورقة عمل مقدمة إلى اليوم الدراسي الوطني حول "الطوبونيمية ونظم المعلومات"، مختبر المعالجة الآلية للغة العربية بجامعة تلمسان، أولاد ميمون بتاريخ ٢٠١٠/٠٧/٠٨، ص ٥.
- (٣) المرجع نفسه، ص ٥-٦.
- (٤) أبو سعيد علي بن موسى المغربي: المغرب في حلى المغرب، ١٩٤/١، ومحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ٢٤٢ - ٢٨٤ وخير الدين الزركلي: الأعلام، ٩/٧.
- (٥) أبو سعيد علي بن موسى المغربي: المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٣م، ٢٠٨/١.
- (٦) أبو الحسن علي بن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٠٢/١-١٠٣. وأبو العباس بن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ٣/٢٧-٣٧ وأبو سعيد علي بن موسى المغربي: المغرب في حلى المغرب، ٢٠٨/١ وخير الدين الزركلي: الأعلام، ٢٨٦/٥.
- (٧) أبو العباس بن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، باريس: نشر إلفي بروفيسال، ١٩٣٠، ٣/٣٩. وأبو سعيد علي بن موسى المغربي: المغرب في حلى المغرب، ٢٠٨/١ ومحمد عبد الله عنان: الدولة العامرية، ط ١، مصر، ١٩٥٨، ص ١٢٠.
- (٨) أبو سعيد علي بن موسى المغربي: المغرب في حلى المغرب، ٢٠٨/١ ومحمد عبد الله عنان: الدولة العامرية، ص ١٣١-١٣٤.
- (٩) أبو العباس بن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ٣/١٣٧ وأبو سعيد علي بن موسى المغربي: المغرب في حلى المغرب، ٢٠٨/١ ومحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية، ص ٢٦٩.
- (١٠) محمد عبد الله عنان: الدولة العامرية، ص ١٣١-١٣٤.
- (١١) أبو العباس بن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ٣/١٥٦-١٥٥.
- (١٢) أبو العباس بن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ٣/٥٠ وأبو سعيد علي بن موسى المغربي: المغرب في حلى المغرب، ١٨٨/١-١٩١ وخير الدين الزركلي: الأعلام، ٣٠٧/٧.
- (١٣) أبو العباس بن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ٣/١٥٨-١٦٩ ورضوان الدايدة: في تاريخ المغرب والأندلس، ط ٢: مؤسسة الرسالة، ١٩٨١/١٤٠١، ص ٣٧٦ - ٣٧٧، وخير الدين الزركلي: الأعلام، ٢/٣٧٢ و٣/٨٦ و٦/١١٦.
- (١٤) محمد عبد الله عنان، دول الطوائف، ط ١: مطبعة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٠، ص ٢٠. ومحمد مختار العبادي: تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٧٣ - ٣٣٣.
- (١٥) ألبير حبيب مطلق: الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، صيدا: المكتبة العصرية، ١٩٦٧، ص ٢٠٩.
- (١٦) أبو سعيد علي بن موسى المغربي: المغرب في حلى المغرب، ١٩٤/١، ومحمد مختار العبادي: تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٤٢ - ٢٨٤ وخير الدين الزركلي: الأعلام، ٩/٧.
- (١٧) أبو العباس بن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ٣/٣ أبو سعيد علي بن موسى المغربي: المغرب في حلى المغرب، ٢٠٧/١-٢٠٨ وخير الدين الزركلي: الأعلام، ٣٠٩/٤.